

من الشطرنج إلى ميادين الكرة والفروسية: كيف صنعت الحضارة الإسلامية الأمجاد؟



الجمعة 26 يونيو 2026 05:00 م

لطالما ارتبطت صورة الحضارة الإسلامية في أذهان كثيرين بالفتوحات العسكرية، والمدارس العلمية، والمساجد الكبرى، وحركة التأليف والترجمة، غير أن صفحات التاريخ الإسلامي تخفي وجهاً آخر لا يقل أهمية عن تلك الجوانب، يتمثل في عالم الرياضة والألعاب والترفيه الذي كان جزءاً أصيلاً من الحياة اليومية للمسلمين على امتداد قرون طويلة.

فمنذ البدايات الأولى للدولة الإسلامية، لم تكن الرياضة مجرد وسيلة للتسلية أو قضاء أوقات الفراغ، بل تحولت إلى أداة لإعداد المقاتلين، وتنمية المهارات الذهنية، وترسيخ قيم المنافسة الشريفة، بل وأسهمت أحياناً في رسم مسارات سياسية وصعود شخصيات تاريخية كبرى إلى دوائر النفوذ والسلطة.

سعيد بن جبيرة أسطورة الشطرنج في عصر التابعين

تكشف الروايات التاريخية عن مستوى مذهل من المهارة الرياضية والذهنية لدى بعض كبار علماء المسلمين. ومن أبرز هؤلاء التابعي الشهير سعيد بن جبيرة، الذي لم يكن مجرد فقيه ومفسر وعالم بارز، بل كان أيضاً واحداً من أمهر لاعبي الشطرنج في عصره.

ويروي الإمام البيهقي أن سعيد بن جبيرة كان يلعب الشطرنج من وراء ظهره، دون أن ينظر إلى الرقعة، مكتفياً بسماع أوصاف النقلات وإعطاء التعليمات المناسبة، في مشهد يعكس قدرات استثنائية في التركيز والحساب الذهني.

ولم يكن سعيد بن جبيرة حالة فريدة، إذ تشير المصادر إلى أن علماء كباراً مثل محمد بن سيرين وهشام بن عروة والشعبي مارسوا الشطرنج وأجادوه، ما يعكس حضور الألعاب الذهنية داخل الأوساط العلمية والدينية في القرون الأولى للإسلام.

الرياضة النبوية: تأسيس مبكر لثقافة المنافسة

يرجع الاهتمام بالرياضة في المجتمع الإسلامي إلى عهد النبي محمد، الذي شجع على ممارسة عدد من الرياضات المرتبطة بالقوة والمهارة، مثل الرماية وسباقات الخيل والإبل والمصارعة.

وقد سجلت المصادر حادثة مصارعة النبي ﷺ ليزيد بن ركانة، أحد أشهر مصارع قريش، حيث تمكن من التغلب عليه أكثر من مرة، في واقعة أصبحت من أشهر النماذج على القوة البدنية للنبي الكريم.

كما شهدت المدينة المنورة تنظيماً لسباقات الخيل والإبل بإشراف مباشر من النبي ﷺ، الذي لم يكتف بالمشاهدة بل شارك في تشجيع المتنافسين، وأرسى مبادئ يمكن اعتبارها النواة الأولى لمفهوم "اللعب النظيف" في الرياضة الحديثة.

الألعاب بين الترفيه والاستعداد للحرب

لم تكن الرياضة في الحضارة الإسلامية نشاطاً منفصلاً عن متطلبات الدولة والمجتمع، بل ارتبطت بصورة وثيقة بالاستعداد العسكري والتدريب القتالي.

فالألعاب التي تعتمد على الفروسية والرماية والمناورة بالسلاح كانت تمثل مدارس تدريب ميدانية تسهم في إعداد الجنود والفرسان، وهو ما يفسر اهتمام السلاطين والقادة بها

وكان اللعب بالحرب والسيوف في المناسبات العامة والأعياد يجمع بين الطابع الاحتفالي والتدريب العسكري، حيث يستعرض المشاركون مهاراتهم القتالية أمام الجماهير في مشاهد تشبه العروض العسكرية الحديثة

الكرة المفضلة للخلفاء والسلاطين

إذا كانت كرة القدم هي اللعبة الشعبية الأولى في عصرنا الحالي، فإن لعبة الكرة المعروفة قديماً بالصولجان كانت تحتل مكانة مشابهة في عصور الإسلام المختلفة

وقد انتشرت هذه الرياضة بين الخلفاء والملوك والأمراء، وأقيمت لها ميادين خاصة داخل القصور والمراكز الحضرية الكبرى

ويذكر المؤرخون أن الخليفة العباسي هارون الرشيد كان من أوائل الخلفاء الذين أولوا هذه اللعبة اهتماماً كبيراً، ثم جاء ابنه الأمين ليجعل إنشاء ملاعب الكرة من أولى مشروعاته بعد توليه الحكم

كما شهدت مصر والشام والعراق ازدهاراً واسعاً لهذه الرياضة التي تشبه إلى حد كبير لعبة "البولو" المعروفة اليوم

نور الدين زنكي في خدمة الجهاد

من أكثر الشخصيات التاريخية ارتباطاً بالرياضة السلطان المجاهد نور الدين محمود زنكي، الذي جمع بين العبادة والقيادة العسكرية والمهارة الرياضية

فقد كان من أمهر لاعبي الكرة في عصره، واشتهر بقدرته الفائقة على التحكم بالكرة فوق ظهر الخيل أثناء الحركة السريعة

ولم يكن اهتمامه باللعبة بدافع الترفيه فقط، بل كان ينظر إليها باعتبارها وسيلة لتدريب الخيول على المناورة السريعة والكر والفر، استعداداً لمواجهة الجيوش الصليبية

حتى إنه رد على منتقديه مؤكداً أن الهدف من اللعبة يتمثل في رفع جاهزية الفرسان والخيول لمتطلبات القتال

صلاح الدين الأيوبي في مهارة رياضية فتحت أبواب النفوذ

ومن أكثر الوقائع إثارة في تاريخ الرياضة الإسلامية ما يتعلق بالقائد الشهير صلاح الدين الأيوبي

فبحسب الروايات التاريخية، فإن براعة صلاح الدين في لعب الكرة كانت أحد الأسباب التي دفعت نور الدين زنكي إلى التقرب منه وإدخاله ضمن دائرته الخاصة

ومع مرور الوقت أصبح صلاح الدين من أبرز رجالات الدولة، قبل أن يؤسس لاحقاً الدولة الأيوبية ويقود معركة تحرير القدس

وتكشف هذه القصة كيف كانت المهارات الرياضية قادرة أحياناً على فتح أبواب النفوذ السياسي والعسكري في العصور الوسطى

الأطفال والنساء في عالم الألعاب

لم تقتصر الرياضة والألعاب على الرجال أو النخب الحاكمة، بل شملت مختلف فئات المجتمع

فالأطفال عرفوا عشرات الألعاب الشعبية التي ملأت الشوارع والساحات، بينما اشتهرت الفتيات باللعب بالدمى والعرائس التي عُرفت باسم "البنات".

كما تشير المصادر إلى وجود ألعاب نسائية متنوعة، بل إن بعض زوجات وجواري السلاطين شاركن في سباقات الخيل ومباريات الكرة فوق ظهور الجياد

وتعكس هذه الوقائع اتساع دائرة المشاركة الرياضية داخل المجتمع الإسلامي بمختلف مكوناته

الشطرنج في رياضة العقل والنخبة

احتلت لعبة الشطرنج مكانة استثنائية بين ألعاب الذكاء في الحضارة الإسلامية، وأصبحت رمزاً للحكمة والتفكير الاستراتيجي. وبرع فيها علماء وأدباء وأطباء وقادة، حتى تحول اسم الأديب العباسي الشهير أبي بكر الصولي إلى مرادف للتفوق في الشطرنج، وصار اللاعب المتميز يُشبه به لقرون طويلة. كما انتشرت المجالس والمنتديات التي تجمع بين القراءة والنقاش العلمي وممارسة الشطرنج، في صورة تعكس التداخل بين الثقافة والترفيه في المجتمع الإسلامي.

الجماهير والتعصب الرياضي ظاهرة قديمة

ومن اللافت أن مظاهر التشجيع الرياضي لم تكن غائبة عن المجتمعات الإسلامية القديمة. فقد شهدت بغداد ودمشق والقاهرة انقسامات جماهيرية حادة خلف بعض العدائين والفرسان واللاعبين، وصلت أحياناً إلى مستويات من التعصب تشبه ما يحدث في الملاعب الحديثة. وتذكر المصادر التاريخية أن بعض المنافسات الرياضية تحولت إلى حالة استقطاب مجتمعي واسعة، حيث انقسم الناس إلى معسكرات متنافسة تدافع عن أبطالها بشغف كبير.

وجه آخر للحضارة الإسلامية

تكشف هذه الشواهد التاريخية أن الحضارة الإسلامية لم تكن حضارة حرب وعلم وسياسة فقط، بل كانت أيضاً حضارة حياة متكاملة عرفت الترفيه والرياضة والمرح المنظم. فمن الشطرنج إلى الفروسية، ومن سباقات الخيل إلى ألعاب الأطفال، ومن ميادين الكرة إلى مسابقات الرماية، شكلت الرياضة جزءاً أصيلاً من الثقافة الإسلامية وأسهمت في بناء الإنسان عقلياً وبدنياً. وتبقى هذه الصفحات المنسية من التاريخ شاهداً على مجتمع امتلك القدرة على الموازنة بين الجدية والمتعة، وبين العبادة والترفيه، وبين صناعة الحضارة والاستمتاع بالحياة.